**المحاضرة الرابعة:**

**القضايا التاريخية والثقافية في الرواية المغاربية.**

**تقديم:**

على الرغم من تباين الرؤى والأساليب فإنّ الروائي المغاربي ظل وفيا لقضايا أمته ووطنه، سواء في المرحلة الاستعمارية أو ما بعدها، وفي مساءلة واقع الإنسان المغاربي في علاقته بنفسه أو في علاقته بالآخر.

**\_ القضايا التاريخية والثقافية:**

عنيت الرواية المغاربية بالقضايا التاريخية والثقافية وأولتها أهمية خاصة، سواء في مرحلة التأسيس أو في المراحل اللاحقة، غير أن الطرح اختلف والأسئلة تغيرت بين الحقب التاريخية، فمن مرحلة التمجيد وتصوير الكفاح ضد المستعمر والاعتزاز بكل ما هو وطني ، إلى الانتقاد والبحث عن رؤى مغايرة وموضوعات تسائل الذات والآخر.

لقد عملت روايات التأسيس على الانخراط في تمجيد كل ماهو وطني، بغية الإسهام في البناء الوطني بإبراز مظاهر المقاومة التي يتحلى بها الإنسان المغاربي، وهو الخط الذي عملت عليه روايات(ومن الضحايا) لمحمد العروسي المطوي إلى (مات قرير العين) لعبد الكريم غلاب، إلى (ريح الجنوب) لعبد الحميد بن هدوقة و(ما لا تذروه الرياح) لمحمد العالي عرعار. لكننا مع رواية (اللاز) سنلمح بداية الخط الانتقادي والرؤية المغايرة، ومع (الحاكم بأمر الله) لبنسالم حميش سيبرز البعد الرمزي في مقاومة استبداد الدولة الوطنية وإبراز تناقضات حكامها، فهذه الرواية لا تكتفي باستعادة التاريخ وحده، بل تسعى إلى مقاربة الواقع الجديد انطلاقا من الرؤية التاريخية.

أما (كتاب الأمير) لواسيني لعرج فإنه لا يكتفي بإعادة قراءة التاريخ، واستحضار المتخيل التاريخي لتوصيف شخصية الأمير عبد القادر الجزائري وإبراز الجوانب الانسانية فيها، بقدر ما سعى إلى الكشف عن علاقة الأنا بالآخر، وإبراز أوجهه المتعددة، بل إن هذا الآخر ليس دائما هو المحتل المهمين، ولكنه قد يتجسد في صورة انسانية تمثّل قيم الحرية والعدالة والانفتاح، ولعل رواية (بعيدا عن الضوضاء قريبا من السكات ) لمحمد برادة هي تمثل مناسب لهذا الوضع.

لذلك يمكننا تمييز اتجاهين في الروايات التي عنيت بمسائل التاريخ، مع العلم أن هناك تداخلا بين الاجتماعي والسياسي والتاريخي والثقافي، ولا يمكن الفصل بينها.

\_ روايات تعنى بالتاريخ الوطني: وغرضها استرجاع الذاكرة الوطنية وتضميد الجراح الغائرة، والكشف عن مكان الخلل، كما في (بان الصبح، نهاية الأمس) لعبد الحميد بن هدوقة.

\_ روايات تاريخية تعنى بالتاريخ في علاقته بالآخر وتعتمد على المتخيل التاريخي ، وتسريد المختلف، وتتمثلها بصورة خاصة روايا واسيني لعرج ذات التوجه التاريخي مثل (كتاب الأمير) الذي أشرنا إليه سالفا و(كريماتوريوم: سوناتا لأشباح القدس) و(المخطوطة الشرقية). بينما تنحى رواية (البيت الأندلسي) إلى مساءلة الذات واستنطاق المسكوت عنه وسرد الفساد.

من جهة أخرى يمكن التنويه بروايات محمود المسعدي ذا التوجه الفلسفي الوجودي، إلا أنها تنزع نحو مساءلة الذات واستنهاضها حصوصو في (حدّث أبو هريرة قال).

كما عنيت الأجيال الجديدة من الكتاب بالقضايا التاريخية والثقافية؛ ففي الجزائر مثلا اتجه لفيف من الروائيين لى استعادة تاريخ الثورة، لكن من خلال منظور مختلف، فياسمينة صالح في (بحر الصمت) وسامية بن دريس في (رائحة الذئب) تستنطقان المسكوت عنه في تاريخ الثورة، والأزهر عطية في (الرميم) و(طير الليل) تسائل التاريخ الثوري، وعبد الوهاب عيساوي عاد إلى الحقبة العثمانية قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر.

كما يمكن الإشارة إلى بعض الأعمال الروائية التي قاربت مرحلة ما بعد ثورات الربيع العربي مثل (جمايكا ، تمر وقمعول) لمحمد الأصفر و سلسلة من الأعمال الروائية التونسية التي عنيت سواء بالتوثيق للثورة مثل(دخان القصر) لآمال مختار و(زندالي: ليلة 14 جانفي 2011) لأمين العزي أو بانتقاد الأوضاع التي آلت إليها البلاد بعد الثورة كالصراع حول السلطة والعنف السياسي والإرهاب مثل (الغربان، سيادته... سعادة الوزير) لحسين الواد و(ملح قرطاج: حكاية من العالم السفلي) للهادي التيمومي و(بكارة) للحبيب السالمي و(اللامرئي يكتب الرسائل) لمجدي بن عيسى.

وفي الأخيرة سنقول إنه لمن الصعوبة بمكان الفصل بين السياسي والاجتماعي والتاريخي والثقافي في الرواية، لأن المتن الروائي تتداخل فيه مختلف التيمات والأزمنة.

**المحاضرة الخامسة:**

**الرواية المغاربية ما بعد الكولونيالية: الأنا ، الآخر ، الهوية.**

**تقديم:**

**\_ في المصطلح:**

ما بعد الكولونيالية (ما بعد الاستعمار) فرع من فروع النقد الثقافي، ونظرية ذا أبعاد سياسية، تهدف إلى إبراز مواطن الاختلاف بين الشرق والغرب، كما تسعى إلى تفكيك جملة من المقولات المركزية: (الأنا /الآخر، الشرق/ الغرب، الشمال/ الجنوب، المركز/ الهامش، الاستشراق/ الاستغراب).

**\_ الأسس المعرفية لنظرية ما بعد الكولونيالية:**

تهدف نظرية ما بعد الاستعمار إلى:

\_ تفكيك الخطاب الاستعماري (الهيمنة، الاصطفاء اللوني والعرقي).

\_ فهم ثنائية الشرق والغرب.

\_ فضح الهيمنة الغربية.

**\_ قنوات الاتصال بالغرب:**

تم اللقاء بين الشرق والغرب في العصر الحديث عبر قناتين:

**\_ الاستعمار**: وهي قناة صدامية ميزتُها العنف والهيمنة، وتبدأ منذ حملة نابليون على مصر(1798م)، و بداية الحركة الاستعمارية عامة، والتي خضعت لها جلّ الدول العربية وبمستويات متراوحة بين الاستعمار المباشر والحماية والانتداب وغيرها.

**\_ المثاقفة:** وقد تمت عن طريق البعثات العلمية والترجمة.

\_ عنيت الرواية العربية بقضية العلاقة بين الشرق والغرب، من خلال جملة من الروايات والمتون السردية، التي أتيح لأصحابها الانتقال إلى الغرب للدراسة في أغلب الأحيان، ويمكن أن نذكر منها:

\_ عصفور من الشرق (1938) لتوفيق الحكيم.

\_ الحي اللاتيني (1953) لسهيل إدريس.

\_ موسم الهجرة إلى الشمال ( نشرت لأول مرة سنة في مجلة حوار سنة 1966، ثم نشرتها دار العودة ببيروت 1969) للطيب صالح.

**أما مغاربيا** فيعدّ نص ( جولة في حانات البحر الأبيض المتوسط 1935) لعلي الدوعاجي أول محاولة لمقاربة المسائل الحضارية والعلاقة بالآخر، عن طريق جولة في عدد من المدن المتوسطية (نيس، نابولي، أثينا، اسطمبول).

**\_ تمثلات الأنا والآخر في الرواية المغاربية:**

\_ تجسيد نظرة الانبهار والدهشة والمتعة.

\_ إبراز الهزائم النفسية والاجتماعية والسياسية للأنا.

**أهم صور الآخر في الرواية المغاربية:**

\_ تأنيث الغرب.

\_ صورة المستعمر الوحشي.

**\_ الآليات:**

\_ تجسيد علاقة الذكر بالأنثى (الذكر الشرقي /الأنثى الغربية).

وقد اتخذت عدة أشكال منها:

\_ علاقة سيطرة وافتراس.

\_ الثأر من الغرب.

\_ علاقة الذكر الشرقي المكبوت بالأنثى الغربية المستباحة.

ونعثر على هذه النماذج في عدد من الروايات المغاربية منها (المرأة والوردة) لمحمد زفزاف، (بعيدا عن الضوضاء قريبا من السكات) لمحمد برادة. ونشير إلى أن هذه الروايات اتخذت من الغرب (فرنسا، اسبانيا) فضاء لها، في حين حدث العكس بنقل الفضاء إلى افريقيا في الصحراء الموريطانية في رواية (مدينة الرياح) لموسى ولد ابنو.

\_ صورة المستعمر الوحشي:

ويمثلها عدد من الروايات مثل (اللاز) للطاهر وطار و(ما لا تذروه الرياح) لمحمد العالي عرعارو(رائحة الذئب) لسامية بن دريس و(بحر الصمت) لياسمينة صالح.

\_ صورة الأنا المهمشة السلبية ونمثل لها برواية محمد العالي عرعار (ما لا تذروه الرياح) من خلال:

\_ الخضوع والانقياد.

\_ إنكار الذات ورفض الهوية (تغيير البطل لاسمه من البشير إلى جاك).

\_ معرفة الآخر بالذات (معرفة سوزان بأن جاك هو البشير، احتواء مكتبتها على عدد من الكتب موضوعها تاريخ الجزائر).

\_ الاغتراب النفسي والاجتماعي.

\_ استعادة الهوية: حيث تنتهي الروايات المذكورة باستفاقة البطل وعودته إلى وطنه واستعادة هويته.

\_ الصراع متعدد الأوجه: وتمثله بعض روايات عمارة لخوص (كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك 2003، والتي أعاد صاحبها كتابتها بالإيطالية تحت عنوان: صدام الحضارات حول مصعد في ساحة فيتوريو 2006) و(القاهرة الصغيرة) حيث ينزع الروائي إلى توظيف عديد الشخصيات من جنسيات مختلفة هاجرت إلى إيطاليا بدواعي العمل وتحسين الظروف، حيث يبرز الصراع الحضاري والثقافي بينها، وتبرز جملة من الأناوات في مقابل الآخر المتعدد، فكل "أنا" تواجهها صور متعددة من الآخر، سوا أكان إيطاليا أو من ثقافات أخرى.

\_ صور التسامح والاغتراب في رواية " تمر وقعمول" لمحمد الأصفر

\_ الاغتراب من خلال (رمي البطل محمد لنوى التمر وظهور فسائل النخل في الحدائق العامة في ألمانيا) بهدف الاستئناس بها والشفاء من داء الغربة (استعادة الهوية).

\_ ارتفاع بعض الأصوات العنصرية الرافضة للآخر.

\_ تقديم صور إيجابية عن التعايش:

1. اتخاذ الابنة مهجة لإحدى السيدات في دار المسنين جدّة لها.
2. لعب الابن جبير الشطرنج مع أحد نزلاء المأوى ومشاركته الاحتفال.
3. تطوع زوجة البطل للعمل في المأوى.

\_ صورة الضحية: زيمثلها اليهود اليبيون الذين هجّروا قسرا إلى فلسطين وشعورهم بالاغتراب (عودة موشيه إلى بنغازي بعد الثورة بجواز سفر أوروبي وحصوله على بذور القمعول \_ نوع من الخرشوف البري \_ ثم مغادرته).

وخلاصة القول فإن الأنا والآخر والهوية من أهم اليمات التي شغلت الروائي المغاربي، فحاول مقاربتها بتقديم تمثلات عن الآخر وعن الذات في علاقتها بنفسها وبالآخر، مع تباين هذه التمثلات.